تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

الى الأستاذ توفيق الحكيم

اليوم ، وأنا أعود بالقلم إلى هذا المكان الحبيب من الرسالة ، أرى لزاما على أن أذكرك .. وإذا كنت قد عدت ، فانما هى استجابة لصدق محبتك ولطف مودتك ، وما لمسته فيك من جمال الوفاء . وكل تلك القيم النادرة فى عالم الصداقة كان لها أعمق الأثر فى نفسى ، حتى لقد دفعتنى دفعا إلى أن أحمل قلمى وأعود ...

من حقك على إذن أن أذكرك ، لأنك ماقتئت تذكرنى طيلة هذه القطيعة بينى وبين الرسالة ... تذكرنى بقلبك حين اقتصر غيرك على أن يذكرنى بلسانه ، وما أبعد الفارق بين لغة القلب ولغة اللسان ! صدقنى لقد كانت هذه القطيعة امتحاناً قاسياً لصداقة الأصدقاء وخصومة الخصوم ، وما أكثر الذين « سقطوا » فى الامتحان من كلا الفريقين ... وصدقنى إنه لا يهمنى كثيرا أمر هؤلاء « الساقطين » ، ولكن الذى يهمنى هو أن أحيى الأصدقاء الأوفياء والخصوم الشرفاء ، وحسبك أنك كنت فى الطليعة من الفريق الأول !

أنت إنسان مخلص لصداقتك إخلاصك لفنك .. وأنا من الذين يربطون بين الوفاء للصداقة والوفاء للفن ، لأنهما لازمتان من لوازم الحكم الصادق على طبائع النفوس إن جمال الصداقة لا يقل أبدا عن جمال الفن ، والحق أن كليهما ياصديقى فن جميل ... وكل فن جميل قطعة من النفس الشاعرة يخلود بعض الحقائق فى كون كل مافيه منته إلى زوال .

أتذكر هؤلاء الذين صادقتهم يوما ثم انقطع ما بينك وبينهم من أواصر الود وأسباب الصفاء ؟ لقد اتهموك بأنك تنكرت للصداقة ، وتخلفت عن الركب ، وطمست بيديك سطور الذكريات ... ولو أنصفوا الحقيقة والضمير لما اتهموك : لقد أغلقوا قلوبهم فى وجهك فأغلقت قلبك ، وكفوا ألسنتهم عن ذكرك فكففت لسانك ، ومضوا فى طريقهم لا يرجعون فمضيت فى طريقك ... وكأن الوفاء فى رأيهم أن تلقاهم بمطر الزهور حين يلقونك بوخزات الشوك ، وأن تحملهم إلى أرض الظلال وليس فى أرضهم غير سفى الرمال ، وأن تعترف بالماضى الأثير ولو دفنوه تحت أكوام التراب !

أتذكر هذا الذى كان؟ إننى أسجله هنا ليصحح بعض الناس موقفهم منك وماضيهم معك ، على ضوء موقفك من صاحب هذا القلم وحاضرك معه ... لقد كان آخر لقاء بيننا هو ذلك الذى لم تشأ أن تودعنى فيه إلا بعد أن وعدتك بأن أعود إلى الرسالة . ولقد كان الأمر يهمك حتى لكأن القلم الذى انقطع عن الكتابة هو قلمك ، وكأن القراء الذين انصرفت عن لقائهم هم قراؤك .. وحسبى أن أقف فى التدليل على وفائك عند هذا المعنى ولا أزيد !

أما الريات الصديق فأنت أعلم الناس بما بينى وبينه من قرابة الروح وأصالة المودة .. ولولا هذه الأصالة وتلك القرابة لترتبت على اختلافك الآراء فرقة الوجوه والقلوب ، ولكن هذه الفرقة لم تخطر لأحدنا فى بال ، لأن اختلاف الرأى كما يقول شوقى العظيم - لا يفسد للود قضية !

ولقد كنت أود أن أذكر بعض الخصوم الشرفاء فى معرض التقدير

المنتظرة فى لوقت المحدد - يالله الخجل ... ياللورطة - لعنة الله على الشعر ! »

هذا الكلام هو الذى جال حقيقة براس الشاعر الفرودى ، وأما الكذب فهو ما عالج نظمه ... وأخيرا فرغ من منظومته فى الميعاد المحدد ، وتنفس الصعداء !

وصفق له الجهل تصفيقا طويلا .. وسمعه العالم صفعة واحدة تلاشى فى صداها صدى التصفيق الطويل

عامر بدير

وبحال التحية ، ولكنني آثرت أن أمسك القلم عن ذكرهم خشية أن يتهمهم بعض الناس ... بعض الناس الذين لا يقدرون شرف اليد التي تمتد اليك لتصافحك — أنت الخصم القديم — وقد جردت يداك من السلاح ! أشهد لقد صافحني بعضهم وأنا مجرد من سلاحي ، وهو قلمي . وبذلك انتقلوا من صحراء الخصومة إلى دوحة الصداقة ، وضمخوا بأرج العاطفة هذا القلب الذي يدكرك ويذكرهم ، ويحمل لك ولهم أصدق الشكر وأخلص التحية .

جبل شهير :

بالأمس أطلق طالب في كلية الطب رصاص مسدسه على أستاذه لينهي حياة تريد أن تهب له الحياة ... إن دل هذا الحادث على شيء فانما يدل على أن أخلاق هذا الجيل من الشباب الجامعيين لا تبشر بالخير ! واست أجد في وصف هذا الجيل الجامعي أصدق ولا أبلغ من أنه جيل شهيد .. ولو لم يكن جيلا شهيدا لما أقدم أحد أبنائه على مهاجمة رجل ما كان أجدره بأن يحني له الرأس حياء من فضله وإجلالا لأستاذيته !

أية جامعة تلك وأي شباب ؟ أقسم لقد كدت أنفض يدي من الجامعة وما تهدف إليه من رسالة ، ومن الشباب وما يبتغون من مثل . . إن رسالة الجامعة كما أفهمها هي أن تقيم دعائم الأخلاق لتنهض عليها صروح العلم وإن مثل الشباب كما أعلمها هي أن يستضيئوا بنور من هنا ونور من هناك ، وعلى هذين يتوقف تقدير القيم وتقرير المصير !

ولا بد من سؤال يجيش في الخواطر لتجهر به الشفاه : من المسئول عن هذا الانهيار في تكوين مثل عليا من الأخلاق في نفوس الشباب الجامعيين ؟ سيقول أناس إنهم الآباء .. هذا حق ولكنه ليس كل الحق ، لأن هناك رجالا يتحملون من تلك المسئولية أوفى نصيب ، ونعني بهم الأساتذة الذين وكلت اليهم مهمة الاشراف الثقافي على هؤلاء الشباب . يدخل الواحد منهم إلى قاعة المحاضرات وليس في جعبته غير شيء واحد ، هو أن يلقي على الطلاب درساً في الطب أو درساً في الأدب أو درساً في الاقتصاد أو القانون ، وتلك في رأيهم هي الأمانة العلمية ، ولكن أين الأمانة الجامعية ؟ الأمانة التي تصرخ في وجوههم بأن الجامعة ليست تثقيفاً بالعلم وإنما هي إلى جانب ذلك تهذيب بالأخلاق ؟ !

إن الجامعة هي مرحلة الاحراج إلى الحياة ، مرحلة لاعداد المستقبل ، مرحلة التهيئة لخلق جيل يقوم بما له من حقوق وما عليه من واجبات ، وتلك أمور لا يجدي فيها التلقين الذي ينشيء بناء العقول سلم يقترن بالتوجيه الذي يصقل معادن النفوس !

لو أدرك الأستاذ الجامعي أي أمانة في عنقه نحو الشباب الجامعيين ، لما اقتصر على أن يدفع إلى رؤسهم بدروس الأدب والعلم والفن ، وهم محتاجون إلى من يبث في نفوسهم معاني الحق والخير والجمال .. إن علما بغير خلق لهو سلاح مفلول في معركة المصير ، وأسلوب منبوذ في لقاء الناس ، وسراب مضلل في صحراء الحياة ، وهذه هي الحقائق السافرة التي يجب أن يعلمها شباب الجامعة في هذه الأيام !!

حول مكتبة الاسكندرية :

في العدد (٨٥٣) من الرسالة ، وجه إلى الاستاذ الفاضل كمال السيد درويش المدرس بالرمل الثانوية كلمة حول مكتبة الاسكندرية ، ثم بقيت الكلمة حتى الآن في انتظار التعقيب ولعل الاستاذ صاحب الكلمة قد أدرك الظروف التي نشرت فيها كلمته وحالت بيني وبين الرد عليها في ذلك الحين ، وهي الظروف التي أحاطت بوفاة الشاعر الصديق علي محمود طه ، وفرضت علي تلك الدراسة المطولة لشعره قياماً بواجب الوفاء .

وأعود اليوم إلى لفتة الأستاذ درويش ، لأن موضوعها ليس موضوع الأمس حتى تنتهي بانتهائه ، ولكنه موضوع الأمس واليوم والغد بلا جدال .

« أردت النظر في ميثاق جامعة الأمم العربية وفي ميثاق هيئة الأمم ، وقراءة بعض ما كتب من تعليق عليهما فتوجهت بطبيعة الحال إلى مكتبة الاسكندرية . فهل وجدت من ذلك شيئا ؟

كلا ! بل خرجت منها وأنا أتساءل فيما بيني وبين نفسي : أيتجشم الانسان مشقة الانتقال وضياع الوقت في الذهاب إلى المكتبة العامة ليقرأ رواية « اللص الظريف » أو « المرأة الغادرة » ؟ وأين إذن أستطيع قراءة الوثائق والكتب العلمية إن لم أجدها في المكتبة العامة ؟ ولم أطلب شيئا عسيرا بل شيئاً مشهورا لا تخلو من الحديث عنه صفحات الجرائد كل يوم . ثم دعاني داعي الانصاف إلى الاعتذار عن المكتبة بعدم ظهور كتب [illegible] بنفسي فما هي إلا جولة حتى خرجت من عند بائع الكتب وأنا أتأبط كتابين ، ولشدة حاجتي للالمام بالموضوع دفعت فيهما ما يقرب من جنيهين .

وتساءلت مرة أخرى ألا يتمكن الفرد من معرفة ما يعرض له أثناء البحث — على كثرة ما يعرض له — إلا إذا كان يملك الوسيلة إلى الشراء ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فالى أي حد تتحمل مالية الانسان مهما عظمت تكاليف الكتب مع تعددها وارتفاع أسعارها ! ؟

وإذا كانت وزارة المعارف — سامحها الله — قد ألجأتنا باقفار مكتباتها المدرسية إلى المكاتب العامة ، فلا أقل من أن نجد لدى الأخيرة بغيتنا . وإلا فنحن نزود المبتدئين بالحجة التي لا تدفع عنهم لوم اللائمين ثم لنسلكهم بعد حين في عداد الجاهلين حقاً إنه لموضوع يستحق من قلم صاحب « التعقيبات » تعقيباً يكون له عند المسئولين صداه ، وعسى أن تستأنف المكاتب العامة سيرها في ركب الحياة »

هذه المشكلة التي يعرضها علينا الاستاذ دروبش ، هي كما قلت لك مشكلة الأمس واليوم والغد ، وكل ما علكه هو أن نعرضها دورنا على من بيدهم أمر المكتبة العامة بالاسكندرية عسى أن يتعرفوا بحبوب الراغبين في العلم والساعين إلى المعرفة ، أولئك الذين نحن رهن رسومهم إلى المعلومات وتفتقر حيوبهم إلى الجنيهات ... الجنيهات التي لا يستطاع بغيرها الحصول على الكتب في هذه الأيام !

أما فيما يختص بأمر المكتبات المدرسية فان نقص الكتب الذي نشكو منه إنما يدعو حقاً إلى الأسى والأسف . ترى هل يستجيب معالي الدكتور طه حسين بك لرجائنا فيخص تلك المكتبات بشيء من رعايته ؟ إننا نخاطب فيه شخص الأديب قبل شخص الوزير ، وفي يد الشخصيتين مزية التقدير والتنفيذ على كل حال !

مشكلة النقد والنقاد

الدكتور أحمد فؤاد الإهواني صديق عزيز ، ولكنني لن أجامله كما يجامل بعض أصدقائه فيسرف في المجاملة ... أقول هذا بعد أن قرأت له مقالين في نقد ديوان من الشعر ، ظهر أحدهما في الثقافة وظهر الآخر في الرسالة . ولا ضير في رأيي من أن يكتب الأصدقاء عن كتب الأصدقاء ، ولا ضير أيضا من الكتابة هنا والكتابة هناك ، لأن لكل مجلة قراءها الذين قد يقتصرون عليها دون غيرها من المجلات . لا ضير من هذا كله ما دام النقد الأدبي نقدا سليما من الوجهة الفنية ، أعني أن يكون رائده إبراز القيم التعبيرية في الأثر المنقود إبرازا لا يتسم بالتجني ولا يتصف بالمغالاة !

ترى هل حقق الدكتور الصديق شيئا من هذا الذي أشرت اليه ؟ كلا .. بل اندفع وراء عاطفته يسجل المحاسن حتى لقد بدا الديوان وكأن لم يكن به مأخذ من تلك المآخذ التي يقف عندها النقاد ! وليته قد رد تلك المحاسن إلى مصادرها من القواعد المذهبية في نقد الشعر ، إذن لحمدنا له هذا الاتجاه وشكرناه .. ولكنه قدردها إلى الطريقة « الإنشائية » في النقد ، تلك الطريقة التي تذكرنا بنقاد العرب القدامى عندما كانوا يقولون : أشعر الناس الذي يقول .. ثم لا يذكرون لنا لماذا كان صاحبنا أشعر الناس !!

أريد أن أقول للدكتور الإهواني — وأرجو أن يتسع صدره لما أقول — إنني قد احتمل المجاملة مادام النقد قائما على أصول فنية ، وانني قد أحتمل المهاجمة مادام النقد مرتكزا على دراسة مذهبية ، وبغير هذا لا أستطيع أن أحتمل ، ولا أستطيع أن أتقبل هذا الذي يكتب من حين إلى حين ! وقد يعتذر الدكتور الصديق بأنه رجل قد وجهت ملكاته إلى الاشتغال بالفلسفة وعلم النفس وما يدور في محيطهما من دراسات نقدية . إذا اعتذر بهذا فلا عليه إذا ترك ميدان النقد الأدبي لمن يحسنون الخوض فيه .. أما إذا خطر له أن يناقش هذه الكلمة ليثبت لنا أنه يحسن الخوض في نقد الآثار الأدبية ، فنحن على استعداد لمناقشته ، وبيننا وبينه موازين النقد وهذا الذي كتب .. وديوان الأستاذ محمد عبد الغني حسن !! .

أنور المعداوي